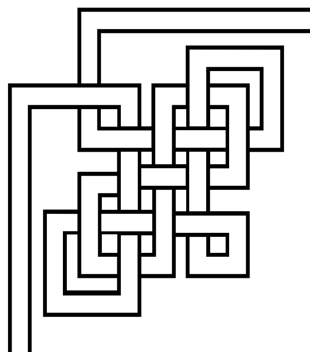
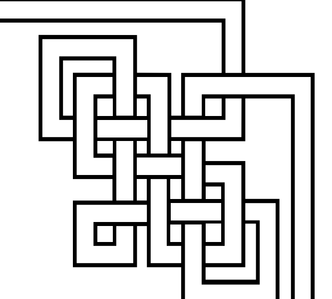



محاضرة بعنوان:

وقفات إيمانية وفقهية وعلاجية
مع وباء كورونا

لفضيلة الشّيخ الأستاذ الدّكتور:

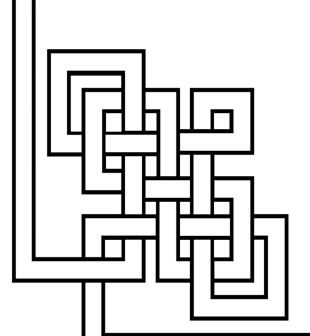
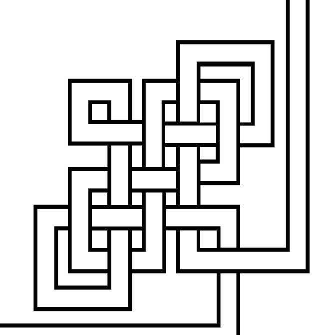
أبو يزيد سليمان بن صفية حفظه الله ورعاه.

مسجد ابن حداد بن عمر ـ القبة الجزائر.

يوم السبت ٢٦ رجب ١٤٤١هـ

الموافق لـ ٢١ مارس ٢٠٢٠م.

قام بتفريغها بعض طلبة العلم جزاهم الله خيراً



إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيّئات أعمالنا من يهده الله فهو المهتدي ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له وأشهد أنّ محمدا عبده ورسوله صلوات ربي وسلامه عليه.

أما بعد:

ففي هذه الليلة المباركة -ليلة الأحد- تلبية لرغبة الكثير من إخواننا، وأداءً للأمانة التي أنيطت بأعناقنا، ارتأيت أن يكون هذا المجلس في: «**محطات ووقفات مع وباء كورونا**».

والمؤمن في أحواله كلّها -وخاصّة إبّان الخوف والجزع- يحتاج إلى أن يأوي إلى ركن شديد، وليس ثمّة ركن أعظم، ولا أوثق، ولا أشدّ من ركن الله ﷻ وكتابه المبين، وسنّة نبيّه الأمين ﷺ؛ قال ربّنا ﷻ في محكم كتابه: ﴿ **وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ** ﴾[النساء: ٨٣]، أي: تكلّموا فيه، وخاضوا، ﴿ **وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ** ﴾ أي الأمور العامة سواءً كانت في الأمن أو في الخوف -وخاصّة في الخوف- أذاعوا به، ﴿ **وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ** ﴾[النساء: ٨٣]، وهم العلماء.

فنحتاج في مثل هذه الأزمات أن نرجع إلى كتاب ربّنا وسنّة نبيّنا ﷺ وإلى كلام العلماء الرّبّانيين وذلك لأنّ القرآن الكريم وسنّة النّبيّ الأمين لم يفرّط في شيء فقال ﷻ ﴿ **مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ** ﴾[الأنعام: ٣٨]، على قول بأنّ الكتاب المقصود به ها هنا هو القرآن الكريم.

وأيضا قال الله ﷻ لنبيه الكريم ﷺ: ﴿ **وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ** ﴾[النحل: ٨٩]، أي: فيه بيان لكلّ ما يحتاجه الإنسان في أمور معاشه ومعاده.

ولذلك آثرت أن تكون هذه المحاضرة في محطات مع هذا الوباء الذي مازال ينتشر ويستشري، وهي ثلاث محطّات:

المحطة الأولى: وقفات إيمانية.

المحطة الثانية: وقفات فقهية.

المحطة الثالثة: وقفات علاجية ووقائية.

المحطة الأولى: وقفات إيمانية

الوقفة الأولى: فُجَاءةُ الأمر

أوّل وقفة يستشفها المؤمن مع هذا الوباء، وهذا البلاء: وهو فُجاءة الأمر؛ فبينما النّاس يغدون ويروحون، يصلّون في مساجدهم الجُمع والجماعات، يقصدون المدارس والجامعات، يخرجون متى شاءوا ومتى ما أرادوا، يزاولون حياتهم بشكل طبيعي؛ فبين غمضة عين وانتباهتها، بين عشية وضحاها توقف كلّ شيء، وحيل بينهم وبين ما يشتهون.

كذلك إذا جاء أمر الله عَزَّوَجَلَّ، كذلك يأتي الموت، كذلك تأتي السّاعة على حين غرّة، وغفلة.

تركنا أعمالنا، تركنا أمورنا، وتوقفنا توقفاً اضطرارياً فجائياً، فهذا الأمر يحتاج منّا إلى تأمّل فأمر الله عَزَّوَجَلَّ إذا جاء قد يأتي بدون مقدّمات ولا تنبيهات، يأتي فجأة، وهذا الأمر يحدث فينا انتباهاً وخوفاً، نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يسلّمنا في أمورنا، وفيما بقي من أعمارنا.

الوقفة الثانية: هل هذا الوباء عقوبة أم بلاء أم رفعة؟

كَثُرَ الحديث في هذا الوباء، بين قائل: إنّه عقوبة، وقائل: إنّه ليس بعقوبة، وذهب بعضهم إلى تشخيصه تشخيصاً كونياً محضاً بأنّه نتيجة لتعاطي بعض النّاس، وأكلهم بعض المأكولات، ونحو ذلك مما تعافه النفوس، وتستقبحه الفطر السويّة.

ولكن إذا رجعنا إلى كتاب ربّنا، وإلى سنة نبيّنا ﷺ يتبيّن لنا أنّ هذه الأوبئة العامة حينما تأتي فالناس فيها على أصناف بحسب أحوالهم:

١ – **إذا كان الرّجل مؤمنا صابر محتسبا:** فإنها تعتبر امتحاناً له على قدر إيمانه، فإذا صبر واحتسب، كُتِبَ له من الأجر العظيم، وإذا مات كتب عند الله عَزَّوَجَلَّ شهيداً، ولهذا جاء في الحديث الذي رواه الإمام البخاري في صحيحه عن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا قالت: «سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الطَّاعُونِ[1]، فَأَخْبَرَنِي «**أَنَّهُ عَذَابٌ يَبْعَثُهُ اللهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ**»، عذاب على العصاة وعلى المذنبين وعلى الكفار والمشركين كما جاء في حديث آخر أنّ النّبيّ ﷺ قال عن الطاعون: «**الطَّاعُونُ رِجْسٌ أُرْسِلَ عَلَى طَائِفَةٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ**»، فهو عذاب على الكافرين وعلى العصاة والمنافقين.

ثم قال نبينا الأمين ﷺ: «**وَأَنَّ اللهَ جَعَلَهُ رَحْمَةً لِلْمُؤْمِنِينَ**»، رغم أنّ هذا الوباء قد يكون فيه موت، قد يكون فيه مرض وعلل، إلا أنه رحمة للمؤمن كيف يكون ذلك؟:

بيّن النّبيّ ﷺ في الحديث فقال: «**لَيْسَ مِنْ أَحَدٍ يَقَعُ الطَّاعُونُ، فَيَمْكُثُ فِي بَلَدِهِ[2] صَابِرًا مُحْتَسِبًا، يَعْلَمُ أَنَّهُ لاَ يُصِيبُهُ إِلَّا مَا كَتَبَ اللهُ لَهُ، إِلَّا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ شَهِيدٍ**».

وجاء أيضاً من حديث أنس بن مالك كما جاء في الصحيحين أنّ النّبيّ ﷺ قال: «**الطَّاعُونُ شَهَادَةٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ**».

فإذًا الطاعون والوباء إذا أصاب طائفة من المؤمنين وصبروا واحتسبوا، ولم يجزعوا، وعلموا أنّ ما أصابهم لم يكن ليخطئهم، وما أخطأهم ما كان ليصيبهم، وعلموا أنّ المؤمن أمره كله خير، كان ذلك رفعة وشهادة، على حسب ما ينالهم من هذا الوباء.

٢– **أمّا على العصاة الكافرين المنافقين:** فلا شك بأنه عذاب وعقوبة.

الوقفة الثالثة: الأوبئة أسبابها معاصي العباد

لابد أن نعلم أنّ هذه الأوبئة لها أسباب كونية، فبحث مثلا العلماء والأطباء عن سبب هذا وباء كورونا فذكروا أسباباً من بعض الأكلات التي تعافها النّفوس وتستقبحها الفطر السويّة.

---

[1] والطاعون يدخل فيه كل وباء.

[2] البلد الذي هو فيه.

ولكن السبب الأعظم -الذي ما سمعنا الكثير يتحدث عنه، وإذا جهل السبب لم نهتد إلى العلاج أبداً- أعظم هذه الأسباب، بل هو أساسها، وما يأتي بعدها إنّما هو نتيجة لها/ أعظم هذه الأسباب هي: المعاصي والمنكرات، قال ربنا جَلَّوَعَلَا: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ ﴾[الروم: ٤١] ، الفساد في معايشهم في صحتهم في كل شؤونهم، وقال الله جَلَّوَعَلَا ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ ﴾[الشورى: ٣٠]، ﴿ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾، أي: أن الله عَزَّوَجَلَّ لو يؤاخذ هذه البشرية بكل ذنوبها، وبكل معاصيها، ما بقي على ظهرها من دابة، كما قال الله ربنا جَلَّوَعَلَا.

وأيضاً دلّت السّنة المحمدية، كما جاء في حديث ابن ماجة بإسناد صحيح من حديث عبد الله بن عمر أنّ النّبيّ ﷺ قال: «**لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ، حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا، إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ، وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا**»، حديث واضح صريح بيّن.

ويقول عبد الله بن عباس: «**مَا ظَهَرَ الْبَغْيُ فِي قَوْمٍ قَطُّ إِلَّا ظَهَرَ فِيهِمُ الْمُوْتَانُ**»، أي الموت الشديد.

وسبحان الله، تسارعت الأوبئة في الأزمنة الأخيرة، وما من سنة إلا ويأتي فيها الوباء أشد من السنة التي قبلها، حتى إنّ منظمة الصحة العالمية أحصت في خلال خمس سنوات الأخيرة أكثر من ألف نوع من الأوبئة الجديدة، وقد مرت بنا أوبئة أنفلونزا الخنازير والطيور والسارس وإيبولا، وغيرها من الأوبئة التي تنتشر فأعظم هذه الأسباب كما قلنا هي المعاصي والمنكرات.

الوقفة الرابعة: ضعف الإنسان

لقد أبانت هذه الأوبئة عن ضعف الإنسان، سواء كان فردا أو جماعة أو حكومة، حتى هذه الدول التي تستعدي بقوتها، وتتفاخر بِطِبِّها واكتشافاتها وحضارتها عجزت ﴿ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ ﴾[النساء: ٢٨] ،﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾[الأنعام: ٩١].

ولهذا ترى الآن بعد ما استقر في أنفسهم أن هذا الوباء لا سبيل لدفعه، نطق كبيرهم -

رئيس أمريكا- قبل أيام، صرّح بلسانه: أنه ليس لنا إلا اللجوء إلى الصلاة والتّضرع والدعاء، قالها كافر مشرك، لأنه أعجزهم ذلك الوباء وانتشاره أن يجدوا له علاجا.

وإن كنا نوقن أنّ الله عَزَّوَجَلَّ ما أنزل من داء إلا أنزل معه دواء.

فسبحان الله فيروس لا يرى بالعين المجردة إلا بآلات حديثة استطاع أن يهلك آلافاً، وأن يوقف أُمماً ودولاً ووزارات ومصالح، ويهدّ اقتصاديات، ليعلم البشر أن الله عَزَّوَجَلَّ هو القادر القاهر فوق عباده ﷻ.

الوقفة الخامسة: أنّ **الطاعون من علامات الساعة واقترابها**

فقد جاء في حديث عوف بن مالك في صحيح البخاري أنّ النّبيّ ﷺ قال: «**اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ**: ......، **ثُمَّ مُوْتَانٌ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقُعَاصِ الغَنَمِ**»، قال العلماء: هو الوباء والطاعون.

نعم جاءت طواعين كثيرة، كطاعون عمواس في السنة الثامنة عشر للهجرة، وغيرها من الطواعين، ومازال الوباء والطاعون يستشري في البشرية دليلاً على اقتراب الساعة.

وهنا تنبيه:

سمعت بعض الناس، وقرأت بعض المنشورات تقول: إنّ ما يحدث الآن بهذا الوباء، وهذه المنكرات التي وصلت حتى إلى بلد الحرمين إلى مكة والمدينة، ومن الإعلان، والمصيبة في الإعلان، فالمنكر يُفْعَل منذ زمن، ولكن المجاهرة بالمنكرات في الأمكنة المقدسة والطاهرة، هذا هو البلاء العظيم، فيقول بعضهم: إنّ ذلك إيذان بأنّه سوف تأتي أحداث بعد هذا، تكون أحداث متلاحقة، وتقوم الساعة، وغير ذلك.

فنقول: نحن لا نجزم بذلك، نعم هذه الأوبئة وظهور المنكرات من علامات اقتراب الساعة، ولكن لا نجزم أنه سوف يأتي بعد هذا البلاء شيء مما ذكره هؤلاء، فالعلم عند الله ﷻ.

الوقفة السادسة: **الهلع والجزع من الموت**.

كلنا يخشى الموت، ولكن الذي رأيناه أنّ الناس تخشى هذا الوباء الذي جاءت الاحصائيات بأنّ معدل الوفاة فيه ٢٪ فقط، بينما نغفل عن موت يترصدنا بكرة وأصيلاً، صبحاً

ومساء، سوف يصيبنا ويدركنا ١٠٠٪، فمهما طالت أيامنا وطالت سنينا فسوف يأتينا الموت ونسبة أن نموت ١٠٠٪ بهذا المرض أو بغيره ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾[الزمر: ٣٠].

فالأولى بالإنسان أن ينظر إلى ما سيأتي من قابل أيامه، وأن يستعد إلى لقاء ربه، وأن يخشى ربه في السر والعلن، وألا يكون مثل هؤلاء الذين تشبثوا بالدنيا ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ﴾[البقرة: ٩٦].

المحطة الأولى: الوقفات الفقهية

هذه الأوبئة، وهذه المصائب، وهذه الطواعين، وهذه الأزمات تتغير فيها بعض الأحكام الفقهية، فيحتاج المؤمن أن يعرف كيف يعبد ربه في زمن الرخاء وزمن الشدّة، في زمن الصحة وفي زمن المرض، في زمن الأمن وزمن الخوف، هكذا المؤمن دائما يسأل ويتفقّه في أمور دينه.

وانظروا لمّا تحدّث النّبيّ ﷺ عن خروج الدّجال، قال الصحابة: «وَمَا لُبْثُهُ فِي الْأَرْضِ؟»، قَالَ: «أَرْبَعُونَ يَوْمًا: يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ». قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَةٍ أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةُ يَوْمٍ؟ قَالَ: «لَا، اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ»، رواه مسلم.

فهناك عبادات تتغير مع تغير هذه الظروف وحلول هذه الأوبئة.

الوقفة الأولى: تعطيل الجمعة والجماعات

أولاً: وجوب صلاة الجماعة

صلاة الجماعة –على القول الصحيح من أقوال أهل العلم– واجبة وجوباً عينياً على القادرين المقيمين من الرجال البالغين، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾[البقرة: ٤٣]، أي صلوا مع المصلين.

وأيضا جاء في قول النبي الأمين ﷺ لما استأذنه ابن أم مكتوم قال: «يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي رَجُلٌ ضَرِيرُ الْبَصَرِ، شَاسِعُ الدَّارِ وَلَيْسَ لِي قَائِدٌ يُلَائِمُنِي، فَهَلْ لِي رُخْصَةٌ أَنْ أُصَلِّيَ فِي بَيْتِي ؟ قَالَ: «هَلْ تَسْمَعُ النِّدَاءَ ؟ » قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «لَا أَجِدُ لَكَ رُخْصَةً» [رواه أحمد، وأبو داود وابن ماجه].

أيضا جاء في صحيح مسلم أنّ رجلا ضريرا جاء إلى النبيﷺ فاستأذنه في أن يصلي في بيته، فقال ﷺ: «**هَلْ تَسْمَعُ النِّدَاءَ بِالصَّلَاةِ** ؟ فَقَالَ: نَعَمْ . قَالَ: «**فَأَجِبْ**».

ولكن صلاة الجماعة تسقط في حال الأعذار- وهو قول جماهير العلماء- كالمرض والسفر والخوف وغير ذلك من الأعذار التي جاءت في صحيح الآثار والأخبار.

ثانياً: حكم تعطيل صلاة الجماعة في المساجد عند الوباء

المسألة الأولى: حكم تعطيل صلاة الجماعة

بالنسبة لهذا الوباء لا يخلو من أمرين اثنين:

الأمر الأول: المصاب.

الإنسان إذا كان مصاباً بهذا الفيروس وهذا الوباء، لا يحلّ له، ولا يجوز له بحال أن يأتي إلى مساجد المسلمين، لقول النبي الأمين ﷺ: «**لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ**» [رواه مالك]، فلا يضر نفسه، ولا يجلب الضرّ لغيره.

ولأنه من أذية المؤمنين، والله عَزَّوَجَلَّ قد حرم أذية المؤمنين ﴿ **وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ۝٥٨** ﴾[الأحزاب: ٥٨]، وقال النبيﷺ «**الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ**» [متفق عليه].

ولتحريم غشيان المريض الأصحاء، قالﷺ: «**لَا يُورِدَنَّ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ**» [متفق عليه]، أي لا يأتي مريض في وسط الأصحاء، -خصوصاً الأمراض المعدية-.

قال القاضي عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "أثر عن الْعُلَمَاءِ أَنَّ الْمَجْذُومَ وَالْأَبْرَصَ يُمْنَعَانِ مِنْ الْمَسْجِدِ وَمِنْ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ، وَمِنْ اخْتِلَاطِهِمَا بِالنَّاسِ".

فلا يجوز باتفاق العلماء بالنسبة للمجذوم والمصاب بالطاعون وغيرهما من الأوبئة أن يأتي إلى جماعات المسلمين.

الأمر الثاني: غير المصاب

قال العلماء غير المصاب إذا خاف على نفسه من المرض وانتقال العدوى بغشيانها المساجد والجماعات، جاز له أن يبقى في بيته، قال المرداوي رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَيُعْذَرُ فِي تَرْكِ الْجُمُعَةِ وَالْجَمَاعَةِ الْمَرِيضُ بِلَا نِزَاعٍ، وَيُعْذَرُ أَيْضًا فِي تَرْكِهِمَا لِخَوْفِ حُدُوثِ الْمَرَضِ".

ولكن الأمر الذي ألمَّ بنا جميعاً، وأحزننا جميعاً هو غلق المساجد كلها.

وقد اختلف العلماء من المعاصرين في هذه النازلة - التي لم يعهد لها مثيل في تاريخ الإسلام- بين مؤيد لمثل هذه القرارات، ومعارض لها.

لأن بعضهم رأى أن اتّخاذ الوسائل لتوقيف الوباء والوقاية منه ليس من التعبّد، فهو من الأشياء التي تخضع إلى التجربة، بمعنى أنه يصار إلى الأطباء فيقال لهم: هل في اجتماع الناس الآن في المساجد فيه خطر عليهم وانتقال الوباء؟ فالذي يقولونه -إذا كانوا من الأمناء والحذاق- يؤخذ به، قال الله عَزَّوَجَلَّ ﴿وَأَشْهِدُواْ ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾[الطلاق: ٢]، هذا في الأمور التي تحتاج إلى أهل الخبرة والدراية.

فإن قال قائل: قد كانت هناك طواعين وغيرها في عهد الصحابة والتابعين، ولم تتعطل الجماعات ولا الجمع ؟.

قال بعضهم جواباً على هذا: أن هذا الأمر يحتاج إلى معرفة طبيعة الطاعون عندهم وطبيعة الوباء عندنا، فالطاعون لا شك بأنه أقل انتشارا كما قال الكثير من الأطباء من هذه الأوبئة التنفسية، فهي شديدة الانتقال والعدوى.

ومن جهة أخرى: لم يهتد علمهم في ذلك الوقت ولا أطباؤهم إلى أن مثل هذه الأوبئة تمكث في الهواء والأسطح أيام ذوات العدد.

ولذلك أفتى بعضهم إلى جواز تعطيل الجماعات في المساجد خوفا من إصابة أهلها.

ولكن الذي نقوله: إنّه لا يصار إلى هذا -أي تعطيل الجماعات والجمع- إلا إذا انعدمت الوسائل -أي: وسائل الوقاية-، بمعنى أن الضرورة تقدر بقدرها، فإذا أمكن إقامة الجماعات

مع أمن الضرر، كأن يلبس الناس الكمامات والقفازات، ويجلبون معهم الزرابي، مع أمن انتقال الدّاء تعيّن عليهم إقامة الجمعة والجماعات.

المسألة الثانيةً: صلاة الجماعة في البيوت

الجماعة في البيوت جائزة لأصحاب أعذار، فقد نُقِل عن عبد الله بن مسعود وأنس بن مالك وغيرهما أنهم كانوا يصلون في بيوتهم جماعة حال العذر، فيصلي الإنسان في بيته.

والأفضل أن يتخذ مصلى -خصوصاً هذه الأيام نحن نصلي في بيوتنا- نتخذ مصليات أماكن نفرشها بالزرابي، ونهيئها على هيئة المسجد، فالإنسان لما يدخل لذلك المكان يجد نوعاً من السكينة، وكأنه في المسجد، فيكون أشد إقبالا على الله ﷻ.

جاء في مسند الإمام أحمد عن عِتْبَان بن مالك قال: أتيت النبيﷺ -بعدما فقد بصره- فقلت: **صَلِّ يَا رَسُولَ اللهِّ فِي بَيْتِي مَكَانًا أَتَّخِذُهُ مُصَلًّى، فَجَاءَهُ رَسُولُ اللهِّ ﷺ فَقَالَ: «أَيْنَ تُحِبُّ أَنْ أُصَلِّيَ؟» فَأَشَارَ إِلَى مَكَانٍ مِنَ الْبَيْتِ، فَصَلَّى فِيهِ رَسُولُ اللهِّ ﷺ.**

ولهذا يشرع ويستحب للإنسان أن يتخذ مصلى، وأن يصلي بأهل بيته.

- **وهذه سلوى لكل إنسان حرم من هذه المساجد** أن النبيﷺ قد قال: «**مَنْ مَرِضَ أَوْ سَافَرَ كَتَبَ اللهُّ لَهُ مَا كَانَ يَعْمَلُ صَحِيحًا مُقِيمًا**» [متفق عليه]، بمعنى الناس التي كانت تصلي في المسجد والآن حرمت من هذه المساجد يكتب الله عَزَّوَجَلَّ له أجر صلاته جماعة كاملة وافية مستوفية، ولو صلاها في البيت.

ثالثاً: حكم تعطيل الجمعة عند الوباء

بالنسبة للجمعة، والنزاع فيها أشد، والأمر فيها أعظم، لأن الجمعة واجبة، ولم يختلف فيها أبدا، فهي من فروض الأعيان، بل هي من شرائع وشعائر هذا الدين العظام.

وخلاف المعاصرين في هذه النازلة يرجع إلى مسائل:

المسألة الأولى: حكم تعطيلها أو إقامتها بالحدّ الأدنى

هل يكتفى بالحدّ الأقل وهو اثنين أو ثلاث -على الراجح- فتقام في المساجد، أم أنها تعطل بالكلية؟ .

فالرأي السديد أن تقام بالحدّ الأدنى ولا تعطّل بالكليّة.

المسألة الثانية: في حكم إقامتها في الأبنية والأسطح وغيرها

إذا عطّلت هذه الجمع، هل يصلي الإنسان الجمعة ظهرا في بيته، أم يصليها جمعة؟.

ومردّ ذلك إلى الخلاف في أمور ثلاث:

الأمر الأوّل: العدد الذي تنعقد به الجمعة.

والراجح عدم الاشتراط، وهو مذهب الحنفية، إذ لا دليل على اشتراطه، بل عموم نصوص الجماعة تؤيد عدم اشتراطه، كما في الحديث: «**مَا مِنْ ثَلَاثَةٍ فِي قَرْيَةٍ وَلَا بَدْوٍ لَا تُقَامُ فِيهِمُ الصَّلَاةُ إِلَّا اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ**» [رواه أبو داود والنسائي].

الأمر الثاني: اشتراط المسجد.

فالجمهور على جواز صلاتها في غير المساجد لمن أحصر، والمالكية اشترطوا المسجد لإقامتها.

والراجح عدم اشتراطه لعموم الحديث: «**وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا**».

الأمر الثالث: هل نقل عن الصحابة أنهم صلوا الجمعة في بيوتهم أو في الأبنية أو في الأسطح ونحو ذلك؟

فيقال عدم النقل لا يدل على عدم الوقوع، حتى ولو لم ينقل إلينا فليس فيه دليل على أنه لم يقع.

ثم بعد ذلك كما قلنا هذه نازلة لم تعهد من قبل لم نعهد في تاريخ الأمة الإسلامية أنه في مصر من الأمصار وفي دولة من الدول عُطّلت المساجد برمّتها كلية في صلاة الجمعة والجماعات بأمر السلطان، فلا يمكن أن يقال هل كان الصحابة يفعلون ذلك أم لا؟.

وهذه المسألة تبقى مسألة اجتهادية، فمن أفتى بأنها تصلى ظهرا فله حظ من الدليل والنظر، ومن أفتى بأنها تصلى في البيوت جمعة فله أيضاً حظ من الدليل والنظر.

ومن الأصول المقرّرة أنه لا إنكار في مسائل الاجتهاد، والله تعالى أعلم.

الوقفة الثانية: الأذان

يتغير الأذان في زمن الأعذار والأوبئة ما دام الناس يصلون في بيوتهم، ويندرج تحت هذا جملة من المسائل:

المسألة الأولى: هل يؤذن الرجل في بيته؟

الأصل في الأذان أنه من الفروض الكفائية، بمعنى أنه عندما نسمع الآذان نكتفي به ولا نحتاج إلى أن نؤذن في بيوتنا، وذلك لما قاله النبيﷺ عن مالك بن حويرث -لما وفد إليه-: «**وَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلاةُ، فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ، وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ**» [متفق عليه]، فهذا دليل على أنه يكتفى بآذان واحد.

ولكن يجوز للإنسان أن يؤذّن لكل صلاة في بيته تحصيلا للأجر، فقد جاء عند ابن أبي شيبة في مصنفه أن أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ دخل في يوم من الأيام المسجد فوجد الصلاة قد قضيت، فأمر أحدهم أن يؤذن ويقيم، ثم صلى بهم رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ.

المسألة الثانية: كيفية الآذان

هل يقول المؤذّن صلوا في بيوتكم، أم صلوا في رحالكم، أم صلوا في الرحال؟

نقول كل هذه الصيغ وردت في صحيح الأخبار والآثار.

وإن كان بعض العلماء فرّقوا بين هذه الصيغ، قالوا:

- إذا كان يؤذن في المدن والقرى، يقول صلوا في بيوتكم.
- وإذا كان يؤذن في الفلاة يقول صلوا في رحالكم.

أما موضعها فقد ثبت ثلاثة مواضع:

١- بدلا عن حي على الصلاة، لأنه جاء عن عبد الله بن عباس **أَنَّهُ قَالَ لِمُؤَذِّنِهِ فِي يَوْمٍ مَطِيرٍ**:« **إِذَا قُلْتَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، فَلَا تَقُلْ: حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، قُلْ: صَلُّوا فِي بُيُوتِكُمْ**» [متفق عليه].

٢- بعد حي على الصلاة وحي على الفلاح، لما ورد في سنن النسائي عن رجل من ثقيف **أَنَّهُ سَمِعَ مُنَادِيَ النَّبِيِّ ﷺ - يَعْنِي فِي لَيْلَةٍ مَطِيرَةٍ فِي السَّفَرِ - يَقُولُ**: «**حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ. حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ. صَلُّوا فِي رِحَالِكُمْ**».

٣- بعد الفراغ من الأذان: كما جاء في حديث عبد الله بن عمر **أَنَّهُ نَادَى بِالصَّلَاةِ فِي لَيْلَةٍ ذَاتِ بَرْدٍ وَرِيحٍ وَمَطَرٍ، فَقَالَ فِي آخِرِ نِدَائِهِ: أَلَا صَلُّوا فِي رِحَالِكُمْ، أَلَا صَلُّوا فِي الرِّحَالِ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَأْمُرُ الْمُؤَذِّنَ، إِذَا كَانَتْ لَيْلَةٌ بَارِدَةٌ، أَوْ ذَاتُ مَطَرٍ فِي السَّفَرِ، أَنْ يَقُولَ**: «**أَلَا صَلُّوا فِي رِحَالِكُمْ**» [متفق عليه].

المسألة الثالثة: ما يقال عند قول المؤذن: صلّوا في بيوتكم

إذا سمعنا المؤذن يقول صلوا في بيوتكم أو صلوا في الرحال هل نقول شيء؟

الصحيح -والله تعالى أعلم- أننا نقول: **لا حول ولا قوة إلا بالله**، وذلك لأنها جُعلت بدلاً من قول المؤذن: حي على الصلاة.

الوقفة الثالثة: مسائل متفرّقة

المسألة الأولى: المصافة

أرسلت إلي بعض الصور بعضهم يصلي في المساجد في بعض الدول متباعدين، والنبيﷺ أمرنا أن نقارب الصفوف، قال «**وَحَاذُوا بَيْنَ الْمَنَاكِبِ، وَسُدُّوا الْخَلَلَ، وَلِينُوا فِي أَيْدِي إِخْوَانِكُمْ، وَلَا تَذَرُوا فُرُجَاتٍ لِلشَّيْطَانِ**»، وغير ذلك مما ورد عن النبيﷺ.

ولهذا جاء النهي -كما جاء في مسند الإمام أحمد- أنّ النبيﷺ قال: «**اسْتَقْبِلْ صَلَاتَكَ، فَلَا صَلَاةَ لِفَرْدٍ خَلْفَ الصَّفِّ**»، قال بعض أهل العلم: إنّ التباعد الموجود بدعوى عدم الإصابة

بالعدوى، مخالف للسنّة، فإذا خشي الناس العدوى صلوا في بيوتهم، وإلا احتاطوا لأنفسهم كما قلت عن طريق الكمامات وغيرها من الأمور، أما التباعد الموجود في بعض تلك المساجد فهو مخالف لسنة النبيﷺ والله تعالى أعلم.

المسألة الثانية: لبس الكمامات في الصلاة

ورد حديث عند الإمام أحمد من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**نَهَى رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ يُغَطِّيَ الرَّجُلُ فَاهُ فِي الصَّلَاةِ**»، فقال العلماء: يكره للمصلّي أن يغطي وجهه في الصلاة بالكمامة أو غيرها، حتى المرأة إذا صلت وحدها لا تصلي بالنقاب، والرجل لا يرتدي الكمامة.

ولكن إذا خشي المرض في مكان فجاز له أن يضع الكمامة ولا شيء عليه، لأن دفع المفاسد أولى من جلب المصالح.

المسألة الثالثة: القنوت للوباء

هل يشرع القنوت في الوباء، للإمام والمنفرد ؟.

العلماء اختلفوا في هذه المسألة على أقوال كثيرة، ولكن لعل أصحّ هذه الأقوال هو: جواز القنوت، للأدلّة الآتية:

١- جاء في حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النبيﷺ قدمنا المدينة وهي وبيئة، فاشتكى أبو بكر، واشتكى بلال، فلما رأى رسول الله ﷺ شكوى أصحابه، قال: «**اللهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَمَا حَبَّبْتَ مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ، وَصَحِّحْهَا، وَبَارِكْ لَنَا فِي صَاعِهَا وَمُدِّهَا، وَحَوِّلْ حُمَّاهَا إِلَى الْجُحْفَةِ**» [متفق عليه]، قالوا: هذا فيه دليل على أنه يشرع الدعاء، وقنوت النوازل نوع من الدعاء.

٢- أن النبيﷺ قنت لما قُتل أولئك القراء، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: «قَنَتَ رَسُولُ الله ﷺ شَهْرًا، حِينَ قُتِلَ الْقُرَّاءُ» [متفق عليه]، وقنت على قبائل من المشركين، فإذا كان النبيﷺ قنت من أجل موت عدد من الصحابة، فمن أجل موت هذه الآلف المؤلفة من باب أولى أن يجوز القنوت.

المسألة الرابعة: صلاة النوازل رفع الوباء

هل تشرع صلاة النوازل الآن، حتى يرفع الله عَزَّوَجَلَّ عنّا هذا الوباء والبلاء؟

سمعت مقطعاً لأحدهم يقول: نجعل يوم الجمعة أو ليلة الجمعة نقوم فيها، ونصلي لله عَزَّوَجَلَّ من أجل أن يرفع عنا الوباء.

فنقول: صلاة النوازل اختلف فيها العلماء.

- فمنهم من جعلها خاصة فيما ثبت عن النبي ﷺ مثل جفاف الأرض، وقحط السماء، وهي صلاة الاستسقاء، أو من أجل الكسوف والخسوف كما جاء في حديث عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا، أو من أجل الزلزال والزلزلة ثبت عن عبد الله بن عباس، عند البيهقي في السنن الكبرى.

- ومنهم من جعلها في كل ما يخافه الناس، بدليل قوله ﷺ في الخسوف: «**هَذِهِ الْآيَاتُ الَّتِي يُرْسِلُ اللهُ، لَا تَكُونُ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ، وَلَكِنْ يُخَوِّفُ اللهُ بِهِ عِبَادَهُ فَإِذَا رَأَيْتُمْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، فَافْزَعُوا إِلَى ذِكْرِهِ وَدُعَائِهِ وَاسْتِغْفَارِهِ**» [متفق عليه].

ولكن الصحيح -والله تعالى أعلم- أنه لا تجعل صلاة خاصة لنازلة الوباء.

نعم نصلي في أي وقت، لكن تخصيص صلاة بعينها من أجل رفع البلاء، مثل ما يكون في الاستسقاء والخسوف ونحو ذلك، فنقول هذا يحتاج إلى دليل.

وإن كان باب السماء لم يوصد وأن الله عَزَّوَجَلَّ ليسمع النجوى ويكشف البلوى.

نعم نحث على الدعاء في مثل هذه الأيام، نحث على كثرة الصلوات في هذه الأيام، ولكن ليس بنية التخصيص.

تنبيه:

تأتينا أحيانا -خصوصا في الفايسبوك وغيرها من مواقع التواصل- يقول أحدهم اليوم نقوم بحملة للدعاء الفلاني، وحملة لعدد من الصلوات على النبي ﷺ من أجل أن يرفع عنا البلاء.

فنقول مثل هذه الأدعية الجماعية والتخصيص يحتاج إلى دليل.

يا جماعة نحن ندعوا الله عَزَّوَجَلَّ في ليلنا وفي صبحنا وفي سجودنا وفي كل شؤوننا حتى يرفع الله عَزَّوَجَلَّ عنا البلاء، ولكن لا نقيّد العبادة، لأن تقييد العبادات بزمن أو بكيفية يحتاج إلى دليل.

المسألة الخامسة: احتكار السلع

رأينا هذه الأيام وللأسف كيف أنّ هؤلاء الذئاب البشرية قد كشّرت عن أنيابها في كل ما يحتاجه المسلمون، حتى في الأدوية والكمامات، بل في الأطعمة، في وقت نجد الكفار والمشركين فتحوا مخازنهم، وفتحوا مستوصفاتهم، وبذلوا أموالهم لمواطنيهم، هذا يدلّ على النّذالة وعلى الخسّة.

والنبيﷺ قد قال -كما في صحيح مسلم- «**لَا يَحْتَكِرُ إِلَّا خَاطِئٌ**»، أي لا يحتكر إلا آثم.

وقال النبيﷺ: «**مَنْ دَخَلَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَسْعَارِ الْمُسْلِمِينَ لِيُغْلِيَهُ عَلَيْهِمْ فَإِنَّ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يَقْذِفَهُ فِي مُعْظَمٍ مِنَ النَّارِ**» [رواه أحمد]، فالأولى لهؤلاء أن يتوبوا حتى لا ينالهم العذاب الأليم الجذام وسيء الأسقام والإفلاس كما قال النبي خير الأنام، حيث قال: «**مَنِ احْتَكَرَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ طَعَامَهُمْ ضَرَبَهُ اللهُ بِالْجُذَامِ وَالْفَالِجِ والإِفْلَاسِ**» [رواه أحمد وابن ماجه].

المحطة الثالثة: الوقفات العلاجية والوقائية

مع هذا الوباء «**وباء كورونا**» أعاذنا الله عَزَّوَجَلَّ وإياكم منه واسمه العلمي: «**متلازمة الجهاز التنفسي الشرق الأوسطي**»، فهو يصيب الجهاز التنفسي، ومنبعه من الشرق الأوسط من الصين على وجه التحديد.

هو وباء من الأوبئة طاعون من الطواعين، وإن كان هناك فرق بين الطاعون وبين الوباء.

- فكل طاعون هو وباء، وليس كل وباء طاعون.

- لأنّ الطاعون وصفه النبيﷺ لما سئل عنه كما جاء في حديث عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا لما سألته عن الطاعون فقال النبيﷺ: «**غُدَّةٌ كَغُدَّةِ الْبَعِيرِ تَخْرُجُ بَيْنَ الْآبَاطِ وَالْمَرَاقِّ**» [رواه أحمد]، فقال العلماء والأطباء الطاعون سببه هذه القوارض والفئران والأوساخ وغيرها، فإذا أصيب بها الإنسان ودخل إلى جسمه ظهر على شكل أورام متقيحة تصيب الإبط، الأصابع، الرجلين، والمرافق وسائر الجسم، ثم تتعفن شيئا فشيئا إلى أن يموت الإنسان.

بخلاف الوباء عادة يكون تفشي أمراض تنتقل فيه العدوى في الهواء، فيفسد هواء الناس، وتفسد معايشهم، فينتقل مثل هذا الوباء للناس، والله المستعان.

المسلك الشرعي في قضية الوباء أن يتعاطى الإنسان العلاج، نعم نتضرع إلى ربنا وندعوه في صبحنا ومسائنا، **وهذه الأسباب الشرعية.**

وهناك أسباب كونية: لقول النبيﷺ «**مَا أَنْزَلَ اللهُ مِنْ دَاءٍ إِلَّا وَقَدْ أَنْزَلَ مَعَهُ شِفَاءً عَلِمَهُ مَنْ عَلِمَهُ وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ**»، هذا الوباء سيكون له بإذن الله عَزَّوَجَلَّ دواء ولو بعد حين، ونحن مأمورون بالتداوي، فالنبي الأكرم ﷺ وما أدراك حينما أصيب في آخر عمره تداوى، وهذا لا ينافي التوكل على الله ﷻ، لأن التوكل نوعان: توكل بالأسباب، وتوكل بالقلوب لرب الأرباب.

-التوكل بالأسباب "**اعْقِلْهَا**"، وتوكل بالقلوب كما قال النبيﷺ "**وَتَوَكَّلْ**".

طبعا لن أتكلم عن الأمور العلاجية لأنه لا يوجد علاج إلى حدّ الآن، وإنما أتكلم عن الأمور الوقائية.

لهذا يقول الأطباء ويقول أولوا الألباب والفطناء والحكماء: «**الوقاية خير من العلاج**»، ونحن نقول: في هذا الوقت في الظرف الحالي لا علاج إلا الوقاية، ولذلك سوف أتكلم عن الوقاية من جانبين: من جانب شرعي، ومن جانب طبيّ.

الوقفة الأولى: الوقاية الشرعية

أولاً: الحجر الصحي

قد سبق النبي ﷺ إليه بقرون، ففي الصحيحين من حديث سعيد بن أبي وقاص قال: سألت أسامة بن زيد **مَاذَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الطَّاعُونِ؟ فَقَالَ أُسَامَةُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ** ﷺ: «**الطَّاعُونُ رِجْسٌ أُرْسِلَ عَلَى طَائِفَةٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، أَوْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَإِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ، فَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ، وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا، فِرَارًا مِنْهُ**»، هذا ما يسمى بالحجر الصحي، فمن كان داخل تلك الأرض لا يخرج، ومن كان خرجها لا يدخل.

فنقول الآن للمغتربين والداخلين والخارجين أمكثوا في بيوتكم، ابقوا في مدنكم، ابقوا في الدول التي أنتم فيها.

إشكال وجوابه:

قد يقول قائل: الذي يكون خارج منها لا يدخل فيها حتى لا يصاب بالعدوى، ولكن الذي يكون فيها لماذا لا يخرج منها ويفر بنفسه؟

نقول لذلك أسباب:

السبب الأول: حتى لا ينقل العدوى لغيره، قد ثبت بأن هذا الفيروس يبقى في جسم الإنسان كامنا لعدة أيام، ولا يكتشف إلا بعد أيام، والآن نسمع بأن أناس ماتت ودفنت، ثمّ اكتشف بعد ذلك أنهم كانوا مصابين، بمثل هذه الفيروسات.

السبب الثاني: لو خرج جميع الأصحاء من هذه المدن، فمن يقوم على هؤلاء الضعفاء.

السبب الثالث: في خروج الأصحاء كسر لقلوب هؤلاء المرضى والضعفاء.

فلذلك نقول الحجر الصحي: **" لا يُورِدَنَّ مُمرِضٌ على مُصِحٍّ"**، هذه ليست أنانية منا، ونحن لمّا نقول للمغتربين في فرنسا وغيرها: يا جماعة ابقوا في الأماكن التي أنتم بها، ليس أنانية منا، ولكنها من باب الاحتياط لأنفسنا ولغيرنا، وهذا نصّ من النبيﷺ الشفيق والشفوق على أمته قال: **فَإِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ، فَلاَ تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ، وَأَنْتُمْ بِهَا فَلاَ تَخْرُجُوا**.

- ومما ذكره أهل التاريخ ذكر ابن الأثير في: «**كتابه الكامل في التاريخ**» أنه حينما أصاب المسلمين طاعون عمواس في سنة الثامنة عشر للهجرة وقتل الآلف من الصحابة عمرو بن العاص خرج بالمسلمين في الجهاد وفرقهم إلى جماعات، وهذا ما يسمى بالعزل حتى مات واستشهد جميع المصابين رجع بهم.

- سبحان الله من الأمور التي وقفت عليها ما ذكره الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتابه: «**بذل الماعون في فضل الطاعون**» ذكر أنه في سنة 833هـ، أصاب القاهرة بمصر طاعون فهلك الناس، وكان معدل من يموت كل يوم٤٠ واحد فخرج الناس إلى الصحراء وإلى الأماكن البطحاء ليلتجئوا إلى الله عَزَّوَجَلَّ بالدعاء مثل ما يفعل في الاستسقاء، فاختلط الناس وتوافد المريض على النصح، قال فلما عد الناس إلى مدنهم وديارهم صار معدل من يموت كل يوم ألف شخص، وكان الأمر في ازدياد.

لذلك نقول يا جماعة كلما افترقنا ولزمنا بيوتنا، كلما كان في ذلك حصر لهذه العدوى التي نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يرفعها عنا.

ثانياً: منع الحج والعمرة

بعض الناس يقول: لماذا أغلقوا الحج والعمرة ؟ رغم أن الطاعون لا يدخل المدينة، ولا يدخل مكة كما جاء في قول النبي ﷺ: «**عَلَى أَنْقَابِ الْمَدِينَةِ مَلَائِكَةٌ، لَا يَدْخُلُهَا الطَّاعُونُ، وَلَا الدَّجَّالُ**» [متفق عليه].

فنقول النبي ﷺ تكلم عن الطاعون وأما الوباء لا، فالطاعون هو أخص أنواع الوباء، فمنعت المدينة من الطاعون، أما الوباء فقد دخلت أوبئة إلى المدينة، ولذلك ذكر السمهودي: جاء في الصحيح عن أبي الأسود أنه قال: "قدمت المدينة وهم يموتون بها موتاً ذريعاً".

فلا يقال بأنه من ذهب إلى العمرة أو الحج لا يصاب بوباء ولا تنتقل إليه العدوى، التاريخ يحدثنا بوقوع الوباء، وأيضا قول النبي ﷺ خاص وليس بعام.

ثالثاً: النظافة

كل المنظمات الصحية وكل الأطباء يقولون: بضرورة غسل اليدين، وغسل الوجه، وتنظيف الأسطح وغيرها، والنبي ﷺ قد قال «**الطُّهْرُ شَطْرُ الْإِيمَانِ**» [متفق عليه].

- ومن أوجه الوقاية بالنظافة الوضوء، ومما وقفت عليه من قول الأطباء أنّ الوباء والفيروس أول مستقبل له: الأنف، فهو الجهاز المناعي الأول، ويمكث هذا الفيروس في مخاط الأنف مدّة معيّنة، فإذا استنشق الإنسان كما جاء في حديث لقيط بن صبرة قال ﷺ: «**وَبَالِغْ فِي الِاسْتِنْشَاقِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ صَائِمًا**»، الإنسان لما يستنشق يزول هذا الوباء ويذهب الفيروس، فلذلك سبحان الله حتى سمعت بعض الأطباء من الأوربيين يقول: إنّ الاستنشاق المتواصل في اليوم والليلة يؤدي الى ذهاب هذا الفيروس.

- وضع الكمامات: النبي ﷺ -كما جاء في حديث ابي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ - قال: «**كَانَ النَّبِيَّ ﷺ إِذَا عَطَسَ غَطَّى وَجْهَهُ بِيَدِهِ أَوْ بِثَوْبِهِ**» [رواه أبو داود والترمذي]، حتى لا ينتقل الرذاذ.

ومن رحمة الله عَزَّوَجَلَّ أن هذا الفيروس ثقيل ليس مثل الفيروسات الخفيفة الأخرى، مسافة انتقاله من المصاب قرابة متر واحد فقط، ولا يبقى في الجو إلا قرابة ثلاث ساعات فقط كما قال الأطباء، ثم بعد ذلك يضمحل أو يتلف، فالفيروس ليس جسماً حياً، وإنما هو مجموعة بروتينات، ثم بعد ذلك يتلف؛ لذلك النظافة نؤكد عليها الآن.

ورأيت بعض المقاطع وأكيد رأيتموها، هذه الكمامات والقفازات مرمية في الشوارع والطرقات، فأقول: أقل شيء يفعله الانسان إذا استعمل هذه الكمامات يأخذها ويضعها في كيس ثم يرميها في الأماكن المخصصة لرمي هذه النفايات.

رابعاً: أكل التمر على الريق

من أنواع الوقاية ما جاء في قول النبيﷺ «**مَنْ تَصَبَّحَ بِسَبْعِ تَمَرَاتٍ مِنْ عَجْوَةٍ لَمْ يَضُرَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ سُمٌّ وَلا سِحْرٌ**»، وفي رواية: «**ما بين لابتيها**»، وذهب بعض أهل العلم أنّ هذا عامٌ في كل أنواع التمور.

فأنا أنصح هذه الأيام دائما في الصباح على الريق يأكل سبع تمرات، فلا يضره سم ولا سحر، والسم يدخل فيه كل هذه الأمراض وهذه الأوبئة.

وقبل شهور قرأت دراسات تتكلم على أنواع من الأمراض والأوبئة، وأن التمر –المصنع العجيب– له من الخصائص لدفع الوباء ما الله عَزَّوَجَلَّ به عليم.

خامساً: تغطية الآنية

جاء الحثّ على تغطية الآنية دفعاً للأوبئة، قال النبيﷺ: «**غَطُّوا الإِنَاءَ، وَأَوْكُوا السِّقَاءَ، فَإِنَّ فِي السَّنَةِ لَيْلَةً يَنْزِلُ فِيهَا وَبَاءٌ، لَا يَمُرُّ بِإِنَاءٍ لَيْسَ عَلَيْهِ غِطَاءٌ، أَوْ سِقَاءٍ لَيْسَ عَلَيْهِ وِكَاءٌ، إِلَّا نَزَلَ فِيهِ مِنْ ذَلِكَ الْوَبَاءِ**» [رواه مسلم]، الآن بالنسبة للنساء في البيوت لما تدخل للمطبخ خاصة هذه الأيام تحرص على تغطية كل شيء من الآنية.

سادساً: ترك المصافحة والمعانقة

المصافحة فيها أجر عظيم لذلك قال النبي ﷺ: «**مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَلْتَقِيَانِ فَيَتَصَافَحَانِ إِلَّا غُفِرَ لَهُمَا قَبْلَ أَنْ يَفْتَرِقَا**» [رواه أبو داود والترمذي].

لكن إذا ثبت أن المصافحة فيها نقل للعدوى فلا يغضب إنسان مثلا لو مدّ يده لأحدهم وأبى واعترض أن يصافحه، فلا يغضب لأن هذه نوع من الوقاية التي ذكرها الأطباء.

فضلا عن المعانقة والتقبيل، لأن الأصل في اللقاء هو المصافحة وليس المعانقة.

سابعاً: الأذكار الشرعيّة

فمن الأدعية المشروعة النافعة في زمن الأمراض والأوبئة:

١- قول النّبيّ ﷺ «**مَنْ قَالَ إِذَا أَصْبَحَ وَإِذَا أَمْسَى ثَلَاثَ مِرَارٍ: بِسْمِ اللهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، لَمْ يُصِبْهُ فِي يَوْمِهِ وَلَا فِي لَيْلَتِهِ شَيْءٌ**» [رواه أبو داود والترمذي]. وفي رواية: «**لَمْ يُصِبْهُ فِي يَوْمِهِ فَجْأَةُ بَلَاءٍ**»، نعلم هذا الدعاء لأولادنا ولكبارنا الإنسان صباحاً قبل شروق الشمس وقبل الغروب قل هذا الدعاء.

٢- إذا انتقلت إلى أي مكان من الأمكنة قل: **أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ**، لا يصيبك شيء حتى تغادر ذلك المكان، فعَنْ خَوْلَةَ بِنْتِ حَكِيمٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ نَزَلَ مَنْزِلاً فقَالَ أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التّامّاتِ مِن شَرّ مَا خَلَقَ لَمْ يَضُرّهُ شيءٌ حَتّى يَرْحَلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ**» [رواه أحمد].

٣- عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «**اللّهمَّ إِنِّي أعوذُ بِكَ منَ البرصِ والجنونِ والجذامِ ومن سيِّئِ الأسقامِ**» [رواه أبو داود].

ثامناً: الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر

هذه الأوبئة كما قلنا بسبب المعاصي، وبالتالي الآن لابد أن نفعّل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويحضرني هنا ما ذكره ابن كثير في أحداث سنة ٤٧٨هـ في البداية والنهاية قال: **فِي الْمُحَرَّمِ مِنْهَا زُلْزِلَتْ أَرَّجَانُ فَهَلَكَ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنَ الرُّومِ وَمَوَاشِيهِمْ. وَفِيهَا كَثُرَتِ الْأَمْرَاضُ بِالْحُمَّى وَالطَّاعُونِ بِالْعِرَاقِ وَالْحِجَازِ وَالشَّامِ، وَأَعْقَبَ ذَلِكَ موت الفجأة، ثم ماتت الوحوش في البراري ثم تلاها مَوْتُ**

الْبَهَائِمِ، حَتَّى عَزَّتِ الْأَلْبَانُ وَاللُّحْمَانُ، وَمَعَ هذا كله وقعت فتنة عظيمة بين الرافضة والسنة فقتل خلق كثير فيها. وَفِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ هَاجَتْ رِيحٌ سَوْدَاءُ وَسَفَتْ رملا، وتساقطت أشجار كثيرة من النخل وَغَيْرِهَا، وَوَقَعَتْ صَوَاعِقُ فِي الْبِلَادِ... وَفِيهَا خَرَجَ تَوْقِيعُ الْخَلِيفَةِ الْمُقْتَدِي بِأَمْرِ اللَّهِ بِتَجْدِيدِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ والنَّهي عَنِ الْمُنْكَرِ في كل محلة، وإلزام أهل الذمة بلبس الغيار، وكسر آلات الْمَلَاهِي، وَإِرَاقَةِ الْخُمُورِ، وَإِخْرَاجِ أَهْلِ الْفَسَادِ مَنْ البلاد، أثابه الله ورحمه.

إذًا آن الأوان أن نفعّل شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سواء في مدننا في مكة والمدينة في كل مكان، والله ما نزل هذا الوباء وما دخل مدننا إلا بسبب هذه المعاصي والمنكرات، نعم نسمع للأطباء ما يقولونه والوقاية، ولكن أعظم الوقاية، وما يستدفع به الوباء هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الوقفة الثانية: الوقاية الطبّية

الآن أتكلم في أمر لعله فيه شيء من الطبّ، ولا أدعي تخصصي للطب، وإن كنت قد درست فيه سنوات، ولكن هذا تجمع عندي في قضية الوقاية:

أولا: طبيعة فيروس كورونا

هذا الفيروس هو عبارة عن جسم بروتيني ليس حياً، لذلك لو يبقى في الهواء مدة سوف يتلف، ولا يمكن أن يتكاثر ولا يحيى إلا في الأجسام الحيّة.

وفيروس كورونا، فيروس متخصص يصيب الرئتين، فهو عندما يدخل مباشرة يذهب إلى الرئتين.

ثانياً: الزفير يكون من الأنف

سبحان الله أول جهاز مناعي دفاعي هو الأنف، ونحن عندنا عادة نتنفس من أفواهنا، وهذا خطأ التنفس الصحيح أنّ الشهيق يكون من الأنف، والزفير يكون من الفم، هذا هو التنفّس الصحيح، لأنه إذا دخل الهواء وهو محمّل بالفيروسات، ويدخل إلى الأنف يقابل أول

جهاز مناعي وخطّ دفاعي، فيقضي على أكبر نسبة منه تصل إلى ٧٠ إلى ٧٥٪ عن طريق هذه الفلاتر الموجودة داخل الأنف، وإذا استنشقنا جيدا في الوضوء ذهب أكثره ولم يبق إلا القليل.

ثالثاً: الإكثار من شرب الماء الدافئ

بعد ذلك يذهب هذا الفيروس إلى الحلق، لما يصل إلى الحلق يبقى مدة لأنه بعد الحلق هناك طريقان: إما يذهب للرئتين، وإما يذهب إلى المعدة.

فلذلك الإنسان المصاب يشعر بجفاف الحلق، هذه أول العلامات، فأوّل وقاية مادية:

الإكثار من شرب الماء خصوصا الماء الدافئ، لأنه عند شرب الماء الفيروس سوف يذهب تلقائيا مع مجرى الماء إلى المعدة، والمعدة لا يبقى فيها لا ميكروب ولا فيروس، فهي تحلل المعدن وتفتّت العظام، فيها الأحماض والأنزيمات التي تحلل كل شيء، فلو أنّ هذا الفيروس دخل إلى المعدة، خلاص لا يصاب به الإنسان أبدا.

ثالثاً: تنشيط الدورة الدموية في الجسم

لا قدّر الله دخل الفيروس إلى الجهاز التنفسي، من عجيب قدرة الله عَزَّوَجَلَّ وإعجازه، لما يدخل يذهب إلى الخلايا الموجودة في الرئتين، يدخل الخلية الأولى يذهب إلى عقل الخلية الذي يسمى: النواة، يدخل في عقل النواة فيأمرها أنها تنتج فيروسات نفس نوعه، فتصير الخلية بدل أنها تنقل الهواء تنتج الفيروسات، حتى إذا أكملت تلك الخلية ونفذت طاقتها دمرها، ثم انتقل إلى خلية ثانية وثالثة ورابعة، إلى أن ينتشر ويصير بالآلاف.

وسبحان الله أعطانا جهاز ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١ ﴾[الذاريات: ٢١]، أول فيروس يدخل ويصل إلى الرئتين ترسل الخلايا إنذار إلى العقل بأنه دخل جسم غريب لا تعرف نوعه، فيعطي أوامر لما يسمى بالجهاز المناعي وهو خلايا الدم البيضاء؛ لأن الدم عبارة عن خلايا حمراء تنقل الأكسجين وتنقل الغذاء، والخلايا البيضاء هي الخط الدفاعي المناعي، فيتسارع دم الإنسان ويرتفع ضغط الدم لأن الجسم يرسل إنذار فالدم يصير يتدفق بشكل كبير حتى يصل إلى ذلك المكان، فيأتي هذا الدم الأبيض، وهو أنواع:

- **خلايا الخط الدفاعي الأول**: فعندما تذهب تدمر كل شيء، تدمر الخلايا المصابة وتدمر الفيروس، تدمر كل شيء يصادفها في ذلك المكان، لا تميز.

بعدها يأخذ النوع الثاني لخلايا الدم البيضاء **وهي الخلايا الناقلة**، تأخذ عيّنة من هذا الفيروس وترسلها إلى المختبرات للتحليل.

في ظرف ثلاث ساعات إلى خمس ساعات ينجح مختبر جسمنا في أن ينتج خلايا الدم البيضاء تسمى: **الخلايا المضادة** تأتي على مقاس ذلك الفيروس، تذهب إليه مباشرة فتقضي على جميع تلك الفيروسات.

فلذلك نقول لابد من تقوية المناعة هذه الأيام لأنه الجسم لو استطاع أن يستقر من ثلاث إلى خمس ساعات لن يشعر بشيء حتى وإن دخل الفيروس، لذلك يقولون ٨٠٪ من المصابين لا يشعرون أصلا بأنهم أصيبوا بهذا الفيروس، لأن الجسم يتولى إنتاج المضاد الحيوي وتدمير الفيروس.

- **أسباب ضعف الدورة الدموية وكيفية تنشيطها:**

ضعفها يرجع لسببين اثنين:

السبب الأول: قلة الحركة، ونحن هذه الأيام في الحجر الصحي في البيت بين أكل وشرب ونوم وقلة حركة، فيقلّ نشاط الدورة الدموية، فنقول للماكثين والماكثات في البيت: مارسوا الرياضة هذه الأيام، لا تتوقف عن الحركة، لأن توقيفها مؤد إلى تثبيط نشاط الدورة الدموية وتقليلها، وبالتالي لو دخل الفيروس -لا سمح الله- فإننا لا نقوى على محاربته.

رابعاً: تقوية مناعة الجسم

نجد الأطفال الصغار لما يصيبهم هذا الفيروس لا يتأثرون به عادة، لأن جهازهم المناعي لا يزال جديدا، أما نحن فقد استنفذنا الجهاز المناعي بكثرة الوباء والميكروبات، لأنه جهازنا المناعي اشتغل كثيرا هذا الأمر الأول.

والأمر الثاني: المضادات الحيوية، تدمر جهاز المناعة.

ولذلك يا جماعة في مثل هذه الظروف الإنسان لا يشرب المضادات الحيوية، لأنها تقلل من الجهاز المناعي وتضعفه إلى أقصى حدّ، ولذلك سبحان الله المناطق التي لا يتعاطون الأدوية أجسامهم أقوى بخلاف البلاد الأوربية والبلاد المتطورة الذين يتناولون المضادات الحيوية ويشربونها مثل شرب الماء مناعتهم قلّت.

- **طرق تقوية المناعة:**

أولا: النوم، فالسهر مما يقلل المناعة، فالإنسان إذا نام النوم الصحي سوف يقوي مناعته.

ثانيا: طبيعة الأكل: الشيء الذي يقوي المناعة الحمضيات البرتقال، الليمون، وغيرها، وأيضا أكل اللوز والجوز من أعظم ما يقوي المناعة بشهادة الأطباء.

رابعاً: الإشاعات والاضطرابات النفسية

الأمر الأخير الذي أختم به قضية الوقاية والمناعة، أعظم شيء يقلّل المناعة، وبشهادة الأطباء هو الأمور النفسية.

فالإنسان إذا اهتزت نفسيته قلّت مناعته، ولذلك سبحان الله هذه الأيام أصيب الناس بالهستيريا والفوبيا، فصارت بهم من الوسوسة ما الله به عليم.

كثرت الشائعات في وسائل التواصل والله عَزَّوَجَلَّ ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾[النور: ١٥]، الناس صارت تنقل أخبار لا صحة لها تهوّل من الأمور حتى بعض الناس دخلوا في شيء من الحرب النفسية التي تقلل مناعتهم.

لذلك أقول يا أخي هذه الأخبار، لا تتابع الأخبار ولا الإحصائيات، لأنك سوف تصاب بإحباط، يصورون لك أنك سوف تموت غدا، أن الوباء وصل إليك، فهذه الحرب النفسية تقلل من المناعة.

ويبقى الإنسان المؤمن متوكّل على ربه متفائل، لأنّ النبي ﷺ كان يعجبه الفأل، ولأن القضاء موكول بالمنطق، فتفاءلوا بأن الوباء سوف يزول.

والحمد لله كما قلنا هذا الوباء ٨٠٪ من الأصحاء لا يشعرون به أصلا حتى ولو دخل عندهم و٢٪ فقط الذين يموتون بالوباء، فيا جماعة لا تضخموا الأمور فوق حقيقتها.

نحن نؤمن بالله عَزَّوَجَلَّ، ربما الكافر نعم يهلع ويصاب بالرعب الشديد، لأنه كما قال الله عَزَّوَجَلَّ ﴿ **يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ** ﴾[البقرة: ٩٦]، أما نحن نؤمن بالله ﷻ بقضائه وقدره أنه لا يصيبنا إلا ما كتب الله عَزَّوَجَلَّ لنا، وإن أصابنا الله عَزَّوَجَلَّ بداء أو وباء فهو إما رفعة لنا وتكفير لسيئاتنا، أو حط لذنوبنا، وإما أن يكون شهادة لمن توفي منا.

فنسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يقينا الشرور والبلاء والوباء.

هذا وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.